النهار
١٢/٢٠

الوثيقة الصينية البارزة في الغرب والمهملة في العالم العربي

جهاد الزين

مرّت «شرعة ٢٠٠٨» التي اعلنها ٣٠٠ ناشط سياسي ومثقف صيني في «اليوم العالمي لحقوق الانسان» في ١٠ كانون الاول الجاري دون ان تثير الاهتمام الجدي في العالم العربي، وهي الوثيقة التي نشرت «قضايا النهار» نصها الكامل امس الاول الاربعاء... في حين انها احتلت مكاناً بارزاً في الصحافة الغربية. اذ مضى وقت طويل قبل صدور مثل هذا النوع من الوثائق داخل الصين ومن مجموعة بينها ليس فقط منشقين ومثقفين بل حتى كوادر مسؤولة متوسطة وقياديون ريفيون.

الوثيقة، التي لسنا هنا في صدد استعادتها بملخص واف (نصها الكامل متوفر على موقع «النهار» الالكتروني) انما تتميز بعدد من السمات الاسلوبية والمضمونية اذ تستعرض التاريخ السياسي الصيني الحديث منذ قيام اول دستور قبل مائة عام في العهد الامبراطوري مروراً بولادة «اول جمهورية في آسيا» عام ١٩١١ الى تعديل الدستور الصيني عام ٢٠٠٤ لتضمينه عبارة «احترام حقوق الانسان وحمايتها» الى اليوم بما يشكل اختصاراً دقيقاً وبليغاً لاهم المحطات السياسية والفكرية والعسكرية والاقتصادية.

ثم تنتقل الوثيقة في جزئها الثاني لتحديد «مبادئنا الاساسية» في الحرية وحقوق الانسان والمساواة والديموقراطية والحكم الدستوري».

اما الجزء الثالث فيحدد ١٩ مطلباً بينها ما هو عام مثل الدستور الجديد وفصل السلطات والقضاء المستقل وبينها ما هو نابع من خصوصية التجربة الصينية كمطلب «إلغاء نظام تسجيل الاسر على دائرتين» الذي «يعطي الافضلية لسكان المدن على سكان الارياف» الى مطلب «جمهورية فيدرالية» الى «اعادة السمعة الجيدة لكل الاشخاص بما في ذلك عائلات الذين تعرضوا للوصم بالعار في الحملات السياسية الماضية»...

بين النقاط الملفتة في الجزء المتعلق من الوثيقة بعرض محطات التاريخ السياسي الصيني المعاصر والتي من شأنها ان تثير بعض المقارنات هي ما تعتبره «تغلب الشيوعيين على القوميين» عام ١٩٤٩ الذي «القى بالبلاد في هاوية التوتاليتارية». هنا يبدو سياق النص وكأنه يعتبر خسارة القوميين الصينيين خسارة لفرصة الاحتفاظ بالاصلاحات الليبرالية السابقة، مما يضيء على مفارقة صينية مختلفة عن المسار السياسي العربي الذي قاد فيه الجيل القومي العربي – اليساري بعد العام ١٩٤٨، تاريخ تأسيس اسرائيل، مرحلة بدء بناء انظمة الحزب الواحد في المنطقة، غالباً بتحالف مع الشيوعيين لكن كحلفاء من الدرجة الثانية لا الاولى. وغالباً ايضاً ما كانت محاولة الحزب الشيوعي في هذا البلد او ذاك التحوّل الى حليف ندي للقوميين تؤدي الى تصفيته او وضع الشيوعيين في السجون. فالشيوعيون العرب منذ ١٩٤٨ اصطدموا بالقوى القومية العربية، خصوصاً الناصرية و«البعث» في الصراع على السلطة عندما كانوا يصطدمون بهما وليس على الاحتكار المركزي للدولة. لكن هناك ايضاً تمييز ضروري في هذا المجال بين الجيل الاول للقوميين الذي حكم في النصف الاول من القرن العشرين في المشرق وبين الجيل الثاني في النصف الثاني. فالاول كان ذا نزوع ليبرالي في مصر وسوريا والعراق والاردن فيما الثاني تميز، مع التغير الفكري العالمي وصعود الاتحاد السوفياتي الى موقع الثنائية القطبية، كما التحولات الطبقية في بنية الدولة... تميز بالاتجاه اليساري الذي ينظر الى الدولة كأداة تغيير انقلابية للتوازن الاجتماعي... لا كأداة تكريس بُنى قائمة.

• •

السؤال الضروري عن اسباب عدم اهتمام النخب العربية عموماً بحركة من هذا النوع في الصين الآن: هل هي فترة من «التعب الاصلاحي» تمر بها هذه النخب اثر التجربة الوخيمة التي انتهت اليها «الفكرة الاصلاحية» في السنوات الاخيرة خصوصاً تحت راية «المحافظين الجدد» الاميركيين بعدما رفعوا شعار التغيير الديموقراطي في المنطقة وخاضوا المغامرة العراقية لكن دون ان يولوا اهمية للشعار الوطني. الشعار الذي تلتف حوله النخب العربية المتعلق اساساً بانهاء الاحتلال الاسرائيلي والحل العادل لقضية الشعب الفلسطيني. هذا الفصل التجاهلي، بل الاستعلائي بين المسألة الديموقراطية التي شدت في البداية توجه نخب عربية واسعة الى السياسة الاميركية وبين المسألة الوطنية الفلسطينية والعربية، اسقط مرة جديدة في التاريخ العربي الحديث شرعية الحركة الديموقراطية واوصلها الى درجة الانهاك؟

... انهاك من علاماته ان وثيقة صينية من هذا النوع تحاول تأسيس موقف فكري – سياسي ينقل الصين مستقبلاً من نموذج «التحديث بدون ديموقراطية» الى نموذج التحديث الديموقراطي... لا تلقى صدى نخبوياً عربياً اليوم.

هذا دون ان ننسى ان النموذج الصيني الراهن... اي التحديث بدون ديموقراطية لا ينبغي الاستهانة بحجم استقطابه لقطاعات اخرى واسعة ايضاً من النخب السياسية العربية، الحاكمة وغير الحاكمة. وقد يكون هذا أيضاً أحد الأجوبة؟...

الأهرام
١٢/٢٠

سراب السلام.. وسقف المطالب الإسرائيلية المفتوح

علي محسن حميد

كانت إسرائيل ولاتزال ترفض عودة اللاجئين الفلسطينيين إلي بيوتهم ووطنهم بذريعة عنصرية استعلائية هي الحفاظ علي يهودية الدولة علي حساب حقوق تاريخية مشروعة يناصرها القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني وقرارات الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي احتفلت البشرية قبل أيام بالذكري الستين لولادته.

إسرائيل احتفلت بهذا الإعلان علي طريقتها حيث عبرت السيدة تسيبي ليفني وزيرة الخارجية وزعيمة حزب كاديما التي كانت ستصبح رئيسة وزراء عن ضجرها وسأمها من وجود مواطنين عرب لا ينتمون إلي ديانتها لم تعد قادرة علي تحمل وجودهم. السيدة ليفني ربطت طرد عرب إسرائيل بقيام الدولة الفلسطينية لأن< الحفاظ علي ديمقراطية ويهودية الدولة يتطلب إيجاد حل لعرب الخط الأخضر خارج إسرائيل ولأن الهدف الوحيد لعملية السلام مع الفلسطينيين هو لحماية مصالح إسرائيل! و الحفاظ عليها دولة يهودية وديمقراطية. إن مطالب العرب الوطنية يمكن تلبيتها خارج إسرائيل>.

وهي بذلك أكدت أن قرار الأمم المتحدة رقم٣٣٧٩ الذي اعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية كان قرارا صائبا ولم يكن من حق المنظمة الدولية التخلي عنه قبل الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية وتحقيق سلام شامل عادل للصراع العربي الإسرائيلي لأن دوافع إصداره لم تكن سياسية بحتة وإنما استندت إلي ممارسات إسرائيل ضد الفلسطينيين قبل إنشائها وحتي الاحتلال الثاني عام١٩٦٧ وما تلاه من استيطان ونكران لحق الفلسطينيين في الوجود.

عرب إسرائيل غير المرغوب فيهم ليسوا بالاف معدودة بل٢٠٪ من السكان وهم باختصار عدد سكان عدة دول صغيرة أعضاء في الأمم المتحدة التي لم تبادر بالتعليق علي كلام رئيسة الدبلوماسية الإسرائيلية التي ارتادتها مرات عديدة وقرأت ميثاقها وتعي ماذا يعنيه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. إن ماقالته لم يكن زلة لسان وإنما بحسب تأكيدها أن هذا هو موقفها الذي تمسكت بها طيلة حياتها السياسية. وهي لن تقول ماقالته إلا وهي تشعر أن هناك إجماعا إسرائيليا حوله وظهيرا دوليا يشاركها هذه القناعة. وماقالته يمثل احتقارا صريحا لكل قيمة إنسانية من قبل نفس الدولة التي خدعت وضللت العالم ولاتزال بادعاء أن العرب في عام١٩٦٧ كانوا يريدون رميها في البحر وهو ما تريد الأن ان تفعله متشجعة بموقف دولي مراوغ من قضية اللاجئين ومن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير.

لقد اعتذرت استراليا ونيوزيلاندا والنظام العنصري في جنوب أفريقيا عن ممارسات وحشية وعنصرية مورست ضد السكان الأصليين، واعتذرت بريطانيا عن تجارة العبيد ولكن إسرائيل لأسباب دولية معروفة معفاة من أن تحذو حذو هذه الدول ومن الخضوع لمعايير السلوك الحضاري الدولي، لذلك فهي تقتل وتحاصر وتجوع وتبطش وتقلع الشجر وتجرف الأرض الزراعية وتستوطن في أرض الغير ولايجرؤ أحد كائنا من كان علي مطالبتها بالانسحاب اوبفرض عقوبات عليها.المطلب الإسرائيلي بيهودية الدولة المرتبط بطرد فلسطينيي٤٨ الذي أفصحت عنه ليفني عشية ذهاب إبنها إلي الخدمة العسكرية يعني أن إسرائيل ستكون أول دولة عنصرية في القرن الحادي والعشرين. بالطبع من حق أي شعب أن يعلن عن أنه يريد دولة دينية خاصة به لو كان هو مالك الأرض ونشأ نشأة طبيعية عليها ولم يسرق أرض شعب آخر أو يتسبب في مأس له ولشعوب العالم قاطبة. هذه الدولة الدينية التي تتنافي مع قيم القرن الحادي والعشرين، حظيت بدعم إثنين من أكبر دعاة فرض الديمقرطة في المنطقة اللذاين أوهمانا بأنها العلاج الشافي لمنع الحروب والقضاء علي الإرهاب وإنهاء الاستبداد السياسي والطريق لاحترام حقوق الإنسان،

هما الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس وزراء بريطانيا السابق توني بلير بطلا التراجيديا الدموية العراقية واللذان لن يفلتا من يد العدالة الدولية طال الوقت أم قصر. ولأن يهودية الدولة ليست مزحة إسرائيلية حذا حذوهما ساسة غربيون كثر من بينهم الرئيس الفرنسي ساركوزي وخليفة بلير جورج براون. ولكن الراجح أن هؤلاء ليس لديهم تصور واضح عن المخطط العنصري الإسرائيلي الخفي وكذلك وسائل الإعلام الغربية التي تجاهلت الحديث عن تصريحات ليفني رغم أنه كان خبرا رئيسيا في الإعلام الإسرائيلي، وهي التي لم تكن تتجاهل لو صدر مثله عن فلسطيني أو عربي.

عند كل منعطف سيء تفاجئنا إسرائيل بمطلب جديد يبدو في البداية من الخرافات أو التخاريف لكنه بفعل التغاضي الدولي يصبح سياسة. فعندما كانت عملية السلام في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي لا تزال تضيء ببعض الأمل زعم نيتانياهو رئيس الوزراء آنذاك بأن السلام مع العرب لن يوفر الأمن لإسرائيل وطالب بالأمن قبل السلام أي نسف مبدأ الأرض مقابل السلام التي كانت المبدأ الذي علي أساسه انطلقت عملية مدريد عام.١٩٩١ وصاغ نيتانياهو مقولة السلام مقابل السلام. ومنذ ذلك التاريخ دخلت عملية السلام غرفة الانعاش.

وبالفعل أصبح كثيرون ليس في الغرب وحده ولكن حتي في دول صديقة للعرب يتفهمون مطلب إسرائيل الأمني رغم تأييدها القوي لتحرير الأراضي المحتلة من الاحتلال.

وحديث ليفني ليس شاذا في البيئة العنصرية الإسرائيلية فبالأمس القريب طالب إسرائيلي آخر هو السيد موشي فيجلين من< حركة القيادة اليهودية> بقطع خدمات الماء والكهرباء عن الأراضي الفلسطينية كلها وليس عن غزة وحدها، وقال أنه لو وصل إلي رئاسة الوزارة فإنه سيسحب إسرائيل من الأمم المتحدة وسيقطع علاقات بلاده بألمانيا والدول المعادية للسامية ويعيد برمجة السنة الدراسية وفق التقويم العبري بدلا من التقويم المسيحي. وأنكر فيجلين وجود الفلسطينيين وقال أنه لا يوجد شعب فلسطيني ولم يوجد مطلقا ولن توجد دولة فلسطينية. وعن فلسطينيي٤٨ قال أنه سيوفر لهم حقوقا إنسانية وليس حقوقا سياسيةإذا أثبتوا ولاءهم لدولتهم اليهودية المضيفة لهم وقبلوا السيادة اليهودية علي أراضيهم. أما عن حق تقرير المصير فقال أن علي الفلسطينيين البحث عنه في الدول العربية وأن إسرائيل ستشجع هجرة العرب إلي بلدانهم! وتساعد أي عربي يرغب في ذلك بقدر المستطاع.

وترافق مع ما قيل داخل إسرائيل مع المقال الذي كتبه رون بروسور سفير إسرائيل في لندن في صحيفة الجارديان في٩ ديسمبر الجاري عن إعادة تموضع اللاجئين الفلسطينيين في دولتهموليس في إسرائيل وتوجيهه سؤالا استنكاريا للفلسطينيين، هو لماذا تريدون إرسال شعبكم إلي الدولة اليهودية. وبهذه المناسبة سأرد عليه بلغته وأسأله لماذا تريدون اقتلاع شعبكم وإرساله إلي الدولة الفلسطينية؟!

لقد قال اولمرت وقبله آخرون أن إنشاء الدولة الفلسطينية مصلحة إسرائيلية ولكن إذا كان الثمن هو طرد أكثر من مليون فلسطيني فليبقي الاحتلال وستجد إسرائيل نفسها أمام حقيقة أشد مرارة وهي أنه لامفر من دولة واحدة لشعبين.

البيان
١٢/٢٠

دكتاتورية الدولة الفاشلة.. تأملات في النموذج الصومالي

علي الزكري

يشكل الصومال نموذجا صارخا للدولة الفاشلة التي تعد نتيجة حتمية لسقوط الأنظمة الديكتاتورية من جهة وتعتبر صناعة دولية من جهة أخرى. فكيف صنعت الدولة الفاشلة في الصومال وكيف تحولت إلى ديكتاتورية مقلقة.

عشية استقلال الصومال عام ١٩٦٠ كانت موسكو كسبت شريكا مهما في قلب القارة الأميركية «كوبا» وصارت تبحث عن شريك وحليف في القارة الأفريقية وشبه الجزيرة العربية. فكان الصومال بموقعه الجغرافي المتحكم بأحد أهم الشرايين الرئيسية للنقل البحري وللتجارة الدولية عموما، هو الشريك والحليف الذي سعت موسكو لكسبه، وما هي إلا عشر سنوات حتى تمكنت موسكو من إنشاء «كوبا» الإفريقية وتطورت العلاقات بين البلدين حتى أن الجنرال بري كان يسعى جاهدا للانضمام إلى الاتحاد السوفييتي ، غير أن ذلك ولأسباب عديدة لم يحدث ولم يدم شهر العسل السوفييتي الصومالي طويلا ، فوجد بري نفسه عام ١٩٧٧ يخوض حربا ضد أثيوبيا ، غير مدرك أن «إثيوبيا» دون سواها أصبحت حليف موسكو الأول بل وصديقها الحميم.

انهزم الجيش الصومالي في تلك الحرب وتوقف الاتحاد السوفييتي عن إرسال الأسلحة والمعدات إلى الصومال، لتغرق البلاد في حالة من الفتنة على خلفية النزاعات الطائفية التي ازدادت قوة وشراسة غذتها قوى خفية وعوامل خارجية أدت في النهاية إلى الإطاحة بالجنرال بري عام ١٩٩١ فسادت البلاد الفوضى وغرق الصومال في الوحل.

وهكذا قدم سقوط بري وما ترتب عليه من فوضى أنموذجا لما يمكن أن تؤول إليه الأوضاع عندما تسقط الأنظمة الديكتاتورية والتي تدير الأمور بشكل يجعل بقاءها أفضل من التحول إلى دولة فاشلة. بعد ذلك شعرت الولايات المتحدة ومن يساندها بنشوة الإطاحة برئيس كان حليفا لعدوها اللدود «الاتحاد السوفييتي» فدخلت القوات الأميركية إلى الصومال تحت مسمى قوات «حفظ السلام» وانتهى الأمر كما هو معلوم حين قتل ١٨ من أفراد القوات الخاصة الأميركية وعرضت السلطات المحلية أجسامهم الممزقة أمام الكاميرات فغادر الأميركان الصومال تاركين الأمور على ماهي عليه في بلد لم يعد بإمكانه البقاء دون المساعدات الخارجية.

وهكذا بتخلي المجتمع الدولي عن الصومال تعمقت حالة الفشل وأصبح الصومال دولة فاشلة بامتياز ، فدخلت البلاد في موجات متعاقبة من الصراعات والحروب ، وفشلت جميع المساعي الدولية التي لم تكن جادة في إنقاذ البلاد واكتف العالم بمحاولاته الخجولة تلك وبتقديم بعض المعونات الإنسانية للصوماليين داخل الصومال وفي الشتات خصوصا في اليمن وكينيا.

ووسط تخاذل المجتمع الدولي أخذت الصراعات الصومالية تتطور وتتحول مدعومة من قوى غير معلومة إلى نوع من الإرهاب الذي أخذ يتسع داخل الأراضي الصومالية و يتعاظم يوما بعد آخر ليتحول تدريجيا إلى «القرصنة البحرية» والتي أصبحت تشكل أنموذجا لما يطلق عليه العديد من المراقبين بـ «ديكتاتورية الدولة الفاشلة».

الأدهى وحسب تأكيدات رسمية من بعض دول الجوار الصومالي يتلقون دعما بل وتوجيها من العديد من الجهات الأجنبية المتوغلة في البلاد والتي لا تكتفي بتزويد هؤلاء القراصنة بالأسلحة، بل إنها تقدم لهم دعما لوجستيا وتدريبا فنيا عاليا. والمتتبع لعمليات القرصنة وأماكن تنفيذها يجد أن تلك الأعمال تتم على مسافات بعيدة داخل المياه، لا تقل عن ٣٠٠ كم من شاطئ البحر، الأمر الذي يدل على مدى الحرفية والمهنية والتخصص الذي وصل إليه هؤلاء القراصنة، ما يؤكد بالنتيجة أن هناك من اعد ودرب وسلح وجهز هؤلاء القراصنة.. لكن السؤال يبقى من هو؟ الى جانب ما سبق هناك معلومات متضاربة عن الحسابات النقدية لقيادات القراصنة، وفي حال ثبوتها سيكون بالإمكان عندها الحديث عن أخطبوط المافيا المصرفية والتي يبدو أنها؟ والحمد لله – لا تنتمي لا للإسلام ولا المسلمين ، ذلك أن البنوك في المنطقة الإسلامية تخضع لأنظمة رقابة مصرفية بالغة الدقة، كما أنها تتسم بقدر عال من الشفافية مقارنة بالبنوك في المناطق الأخرى حول العالم خصوصا في أوروبا وأميركا.

وإجمالا يمكن القول إننا جميعا أصبحنا شهودا على «مفارقة» هذا العصر الذي نعيشه والمتمثلة في ديكتاتورية الدولة الهلامية التي لا وجود لها إلا على الخرائط الجغرافية، وكيف أن ديكتاتورية هذه الدولة الفاشلة حركت أساطيل العالم نحوها ، وكيف أنها شغلت مجلس الأمن الدولي الذي أصدر ثلاثة قرارات حولها في اقل من ٦ أشهر.. إنها باختصار واحدة من عجائب هذا الزمن التي لا تنقضي.

الدستور
١٢/٢٠

الجنرالات عندما يتذكرون!

خيري منصور

لم ينافس الزعماء والأدباء في كتابة المذكرات الا الجنرالات ، خصوصا اذا كانوا من المنتصرين في حروب حاسمة ، واحيانا يكون الزعيم هو نفسه الجنرال كما في حالة الجنرال شارل ديغول الذي كتب مذكرات زاوجت بين السياسة والمقاومة والثقافة..

لهذا يقول الظرفاء ان الجنرالات المتقاعدين يتفرغون لشرب اليانسون كي يتذكروا ، أما أغرب مذكرات فهي تلك التي لم تكتب لكن السجال يدور حول عدم كتابتها أو بمعنى أدق حول نشرها ، ومن هذا النمط من المذكرات ما ينسب الى المشير أبوغزالة الذي كان نائبا للرئيس حسني مبارك ورحل عن عالمنا قبل أشهر.

ورثة المشير يقولون أنه لم يكتب مذكرات ويرى آخرون انه كتبها واشترط نشرها بعد رحيله.. وقد يكون الرجل قد بدأ ذات يوم بكتابة مذكراته عن الفترة الحرجة في تاريخ بلاده ثم عزف عن ذلك لاسباب تخصه،.

عندما نشر الجنرالات الامريكيون مذكراتهم عن حرب الخليج مثل شوارتسكوف وكولن باول ، بدت المسألة كما لو أنها منافسة على الظفر بلقب البطل ، رغم ان هذا النمط من الحروب غير المتكافئة لا أبطال له ، وقد تكون الحواسيب والصواريخ الذكية وطائرات الشبح والـ بي ٥٢ هي ما يستحق لقب البطولة وليس الانسان،

لكن لماذا يتحول عدم الكتابة الى موضوع سجال؟ هل لأن العرب اعتادوا على قدر عظيم من الشفافية والصراحة أم لان الفضول تشحذه عدة عوامل لمعرفة ما لم يعرف في أوانه، الاسباب عديدة ، ولكل جنرال رؤاه وقراءته للتاريخ سواء تعلق بالأمور العامة أو بدوره الشخصي ، وقد مرّ وقت على الجنرالات العرب كانوا فيه اكثر ميلا الى التعامل مع التاريخ بحذر شديد ، كما مرّ وقت على هؤلاء كانوا فيه أقرب الى الشغوفين بالقراءة والكتابة ، خصوصا في العراق قبل وبعد ثورة عام ١٩٥٨ واذكر على سبيل المثال ان جنرالا هو طه الهاشمي ألف العديد من الكتب عن الاديان المقارنة ، ربما لان تلك الفترات من التاريخ العربي كانت ذات خصوصية فريدة ، حيث بلغ فيها هاجس الاستقلال عن الانتداب والاحتلال وشتى انماط الوصاية ذروته..

ان كتابة المذكرات لا تعني الاعتراف الصادق بما وقع ، واحيانا تكون قناعا للتخفي أو بمثابة اعادة انتاج للماضي فهناك من يخترعون طفولة وصبا وماضيا يليق بما انتهوا اليه من مكانة.

وحتى وقت قريب كانت مذكرات جان جاك روسو توصف بأنها الاكثر صدقا ، ثم اعاد النظر فيها باحثون نفسيون ومنهم من قال ان روسو سلط الاضاءة على جوانب من حياته وطفولته كي يحجب هذه الاضاءة عن مشاهد اكثر حساسية وأهمية ، فالناس يقيسون الجرأة والشجاعة بقدر الاقتراب من الاعتراف الجنسي بسبب ما ترسب من «التابوات» في لا وعيهم.

وبشكل عام ، فقد كان الجنرالات العرب أقل اقبالا من غيرهم على كتابة المذكرات خصوصا في الخمسين أو السّتين سنة الماضية ، لان تاريخ العسكرتاريا العربية في هذه الحقبة لا يدعو الى الزّهو،،